

## كلمة رئيس جامعة بيرزيت في حفل التكريم السبت 2021/6/26

زملائي الأعزاء في مجلس الأمناء، وفي الهيئتين الأكاديمية والإدارية، أبنائي الطلبة،  
الحضور الكريم،،،

قبل أربعين عاماً، حدثت الصدفة التي ستغير حياتي. وكنت على موعدٍ مع حدث لم أفكر به ولم أخطط له، فخلال زيارة للأهل قادماً من الولايات المتحدة بعد حصولي على شهادة الدكتوراه في الكيمياء، شاءت الأقدار أن تسوقني إلى جامعة بيرزيت، لأبدأ هنا حياة أكاديمية وإدارية امتدت على مدى أربعين عاماً. في زيارة لي لجامعة بيرزيت، وفي مثل هذا الوقت من عام 1981، شاءت الأقدار أن ألتقي بزميل الدراسة وابن صفي في المدرسة في مدينة نابلس، المرحوم الدكتور سامي الصيرفي حيث كان عميداً لكلية العلوم في ذلك الوقت، الذي طلب مني أن أقدم طلباً للعمل في جامعة بيرزيت، في كلية العلوم، وفعلاً قدمت طلب توظيف، ولم أكن أعلم أن مجرد تقديم هذه الورقة سيؤثر في مسيرة حياتي لعقود تالية.

عام ألفٍ وتسعمئةٍ وواحدٍ وثمانين، التحقت بجامعة بيرزيت في هيئتها الأكاديمية، وصرت -بالصدفة، ودون تخطيط مسبق كما أسلفت -أستاذًا للكيمياء في الجامعة - وبجانب عملي الأكاديمي، تدرجت في المناصب الإدارية، إذ أصبحت رئيسًا لدائرة

الكيمياء، ثم عميداً لكلية العلوم، فنائباً للرئيس للشؤون الأكاديمية، قبل أن أُكَلَّف برئاسة جامعة بيرزيت.

لم تكن بيرزيت مجرد مكان للعمل. لقد كانت حياة كاملة متكاملة، مفعمة بالحيوية والنشاط، كبرنا معاً، وعشت أيامها الصعبة والحلوة، وشهدت إنجازاتها، وساهمت - مع زملائي في الجامعة ما استطعنا - في تطويرها من استحداث لكرات وبرامج جديدة، وتطوير أنظمتها، والحفاظ عليها وعلى استقلاليتها، تلك الجامعة المقامة على أرض فلسطين، والتي خرجت أول فوج من حملة البكالوريوس على هذه الأرض الطاهرة، الجامعة التي تخرج مواطنين صالحين أحراراً، تبوأ كثير منهم مواقع مهمة في مجتمعاتهم، وعلى مستوى الوطن، بل وتوزعوا في العالم كله، متسلحين بالمعرفة والثقافة والقيم التي زرعها فيهم جامعة بيرزيت.

عند المقارنة بين مرحلتين مختلفتين من عملي في جامعة بيرزيت: العمل الأكاديمي، والعمل الإداري، فإنني أنتصر سريعاً لكوني أستاذاً أولاً، قبل أن أفكر في أي موقع إداري، فحتى وقت قريب، حافظت على تواصل مع الطلبة، كأستاذ، ولم يشغلني عملي الإداري عن رسالتي، وما زالت زاويتي في مختبر الكيمياء موجودة حتى اليوم، وأحتفظ فيها بذكريات هي الأحبُّ إلى قلبي. ورغم الأعباء الإدارية خلال عملي نائباً للرئيس للشؤون الأكاديمية، إلا أنني كنت أستعين بمساعدي بحث، وقد نشرتُ آخر بحث عام ألفين وخمسة عشر، بل إن مساعدي البحث الخمسة الذين استعنتُ بهم خلال تلك الفترة، هم اليوم في مواقع أكاديمية مميزة بجامعات متقدمة في أميركا وفرنسا والسعودية.

الزملاء الأعزاء، أبنائي الطلبة،

إن إيماني بجامعة بيرزيت، كإيمان كثير منكم، إيمانٌ حقيقي، نقرنه بالعمل، فنحن العاملين في جامعة بيرزيت ندرس أبنائنا في مرحلتي البكالوريوس والماجستير وليس فقط لأن أبنائنا يتم إعفائهم من رسوم التعليم دعماً من الجامعة لعاملها في مرحلة البكالوريوس، فنحن نأمنُ على أبنائنا هنا، لتقتنا بأن بيرزيت تقدّم أفضل ما يمكن أن يحصل عليه طالب يريد أن يجمع بين التميّز الأكاديمي والحياة الجامعية الاجتماعية والثقافية والوطنية والسياسية.

هذا على مستوى الطلبة. أما على مستوى العمل الإداري بالجامعة، فإنه يُحسب لها أنها رسمت نموذجاً صادقاً وشفافاً في العمل المؤسسي، والحوكمة الرشيدة، وهذا ما يميز جامعة بيرزيت عن غيرها من المؤسسات المشابهة في هذا البلد. إن تدوير المناصب كلها سنّة تحافظ عليها كل أطر الجامعة، في تناقض جميل مع مجمل المشهد المحلي والعربي. فلا أحد مخد في منصبه. الكل عابرون في المواقع، لكنهم باقون في الجامعة، والجامعة باقية فيهم.

كما أن الحرية التي تُظلل الحياة في جامعة بيرزيت تبدو عزفاً منفرداً بديعاً بالنظر إلى النشاط الذي يملأ المشهد خارج أسوارها. ولعل الاستقلالية التي تتمتع بها جامعة بيرزيت كانت سيفاً ذا حدين، فلئن وفّرت قدرة على اتخاذ القرارات المناسبة التي تخدم

الجامعة وطلبتها، فإنها كانت أيضاً سياسة مُكَلِّفة في ظل المحاولات التي لم تتوقف يوماً عن محاولة التدخل في شؤونها الداخلية والتي وقفنا لها بكل ما أوتينا من قوة.

إن جامعة بيرزيت هي المكان الوحيد في بلدنا وربما من حولنا الذي تُمارَس فيه الديمقراطية بشكلها الصحيح منذ أن أُنشئت. ولعلها آخر مكان يشهد انتخابات طلابية ونقابية منتظمة، قد نختلف إدارة ونقابة عاملين ومجلس طلبة، في أمور مختلفة، لكن هذه الأجسام الثلاثة لم تختلف يوماً على الانتماء لبيرزيت، والعمل من أجلها، في إطار التكامل لا التنافر، هكذا كانت، وهكذا ستظلّ.

زملائي المحترمين، أبنائي الطلبة

لقد مرت الجامعة خلال فترة جائحة كورونا، والتي عصفت بالعالم أجمع، بأصعب الفترات التي عايشتها في جامعة بيرزيت، يكفي أن تتخيلوا إدارة جامعة فيها حوالي ألف موظف و15 ألف طالب، مسؤوليتها تتمثل في إدارة الجامعة، وتأمين مستلزماتها في مثل هذه الظروف الصعبة، أكاديمياً وإدارياً ومالياً، تديرها عبر الوتساب والزوم ورتاج والتواصل باستخدام الموبايل، في ظروف صحية لم يكن أحد يعلم متى يمكن أن تستقيم. إلا أن هذه الأزمة مرّت والحمد لله، ووصلت السفينة إلى بر الأمان، واستطاعت الجامعة المحافظة على مسيرتها والإيفاء بالتزاماتها، بل استطاعت أن تطور أيضاً بنيتها التحتية وكوادرها البشرية، واستحدثت برامج أكاديمية جديدة تلبي حاجة المجتمع الفلسطيني وتتناسب مع التقدم العلمي في المجالات المختلفة.

إن عملية إدارة جامعة بحجم جامعة بيرزيت، وبمثل طموحاتها ورؤيتها وأجوائها ومنتسبيها، وانفتاحها على مكوناتها وعلى المجتمع، ليس بالأمر الهين، بل قد تكون أصعب مهمة تلقى على عاتق أكاديمي، الأمر الذي يتطلب الكثير من الحكمة في اتخاذ القرارات، وتعاون جميع الفرقاء لتحقيق المصلحة العامة، وهنا أتوجه بالشكر الجزيل إلى مجلس أمناء الجامعة وخاصة رئيس المجلس الدكتور حنا ناصر الذين كانوا خير معين لنا في مهمتنا، ولم يبخلوا علينا في تقديم الدعم من أجل المحافظة على سيرونة هذه المؤسسة ورفعتها.

وأتوجه بالشكر أيضاً إلى زملائي العاملين في الجامعة، وأخص بالذكر أعضاء مجلس الجامعة، الذين قدموا دوماً النصح والإرشاد، وساهموا في اتخاذ القرارات اللازمة، حرصاً على رفعة الجامعة وتقدمها، وأقول لزملائي وزميلاتي العاملين في الجامعة، هذه جامعتكم فحافظوا عليها، بها تعملون، وفيها أبناءكم يدرسون، وهي مصدر فخركم وعنوان تميزكم، فلا تبخلوا عليها بانتمائكم، وأتوجه إلى أبنائي الطلبة وأقول لهم، يحق لكم أن تتفاخروا وتفاخروا بانتسابكم لهذه المؤسسة، وعليكم رد الجميل بالمحافظة عليها والدفاع عنها أمام الأخطار الداخلية والخارجية التي تحرق بها. وأدعوكم جميعاً للمحافظة على إرث جامعة بيرزيت والمراكمه على إنجازاتها، فإنّ لنا فيها ذكرياتٍ وحياء.

وفي الختام أقول لكم، لقد سعدت وتشرفت بخدمة جامعة بيرزيت وأسرتها من عاملين وطلبة على مدار 40 عاماً. وإني فخور بما قدمت لهذه المؤسسة، وأشعر بالامتنان لما تعلمته منها على طول هذه المسيرة.

رحم الله شهداء الجامعة وشهداء فلسطين، الرحمة لزملائنا الراحلين، والحرية لأسرانا  
البواسل،  
حماكم الله ووفقكم جميعاً في خدمة بلدنا فلسطين

شكراً جزيلاً لكم على هذا التكريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،